مقدمة الطبعة الإنجليزية الأصلية

[١]

نشأت فكرة هذا الكتاب، ذات صباح، على مائدة إفطار، فى فندق «كلاريدج» فى لندن!...

قصدت العاصمة البريطانية فى رحلة عمل سريعة، وأسفارى خارج مصر سريعة دائما، فأنا لا أطيق البعاد عنها - مهما كانت الظروف، أو المخاطر أحيانا! - أكثر من أسبوعين أو ثلاثة، فإذا طالت المدة عن ذلك يوما أو أياما أحسست بالغربة، وتملكنى ما لا أقدر على مغالبته من الشوق والحنين. وأظن أن الفلاح المصرى فى أعماقى ما يزال أقوى من كل عوامل التطور وتغير العصور!

وفى ذلك الصباح، من بدايات العام الماضى - ١٩٨٥ - كان ضيفى على مائدة الإفطار هو المستر «أندريه دويتش» ممثل مجموعة الناشرين الدوليين التى تملك حقوق نشر كتبى فى العالم، وكان موعدنا ذلك الصباح مخصصا لبحث موضوع كتابى الجديد، ومن جانبى كنت مستعدا بفكرة راودتنى طويلا، وظننت أن الوقت قد حان لتناولها، وهى «**الصراع على الشرق الأوسط وفيه**»، وبدأت أشرح لـ «أندريه دويتش» الخطوط العامة لفكرتى وإطارها، وإذا به - على غير العادة - يقاطعنى قائلا «**إنه يختلف معى ولا يتصور أن يكون موضوع كتابى القادم عن أى شىء.. إلا عن حرب السويس!**» - وسألته مندهشا «**حرب السويس؟!**» وكان رده «أن العام القادم - ١٩٨٦ - سوف يكون **ذكرى مرور ثلاثين سنة على «السويس»** (١٩٥٦ - ١٩٨٦) وهو يعرف أن دور النشر فى لندن ونيويورك وباريس تستعد كلها بكتب عن «السويس» فى هذه المناسبة، وعلى حد معلوماته فإن سنة ١٩٨٦ سوف تشهد

ما لا يقل عن عشرين كتابا فى هذا الموضوع **وبما أننى أحد شهود «السويس» من الناحية العربية، فسوف يبدو غريبا أن أتخلف عن المناسبة وأكتب فى موضوع آخر، بينما يكتب غيرى فى الموضوع !»**.

ودار بيننا حوار طويل، انتهىَ بأن رجوته أن يترك لى فرصة للتفكير فى اقتراحه حتى موعد اجتماعنا الثانى ظهر اليوم التالى فى مكتبه. وهو اجتماع كان مقررا أن يحضره ممثلون عن الناشرين الفرنسيين والأمريكيين والألمان واليابانيين الذين يشتركون معه فى نشر ما أكتب.

وتصادف فى نفس اليوم أننى التقيت بعدد من الأصدقاء فى مجالات النشر والصحافة، وبينهم السير «دنيس هاملتون» رئيس مجلس إدارة رويتر، و«آندرو نايت» رئيس تحرير الأيكونوميست، و«هارولد إيفانز» الذى كان رئيسا لتحرير الصنداى تيمس. ثم التيمس. وكان حوار الصباح مع «أندريه دويتش» فى ذهنى، وحاولت من بعيد أن أستطلع رأى كل واحد منهم، وإذا هم وبدون استثناء يحبذون موضوع «السويس» ويتحمسون له.

وظهر اليوم التالى دخلت إلى الاجتماع الموسع فى مكتب «دويتش»، وقد استقر رأيى على إطار جديد يجمع بين فكرتى الأصلية واقتراح «أندريه دويتش»، ومع ذلك فقد بدأت كلامى بأن سألته : «هل ما زال مصمما على موضوع «السويس»؟ «وأجاب على الفور «بالتأكيد»، وأضاف أحد حضور الاجتماع وهو المستر «بيير بيرنيت» رئيس محررى النشر **«يبدو أنك تظن أن السويس حدث تاريخى كبير جرى فى مصر، والحقيقة أننا نعتبر السويس حدثا تاريخيا كبيرا جرى فى أوروبا وفى بريطانيا بالذات!»**.

ورحت أشرح ما توصلت إليه ومؤداه أننى على استعداد لأن أكتب عن حرب **السويس كذروة من ذرى الصراع على الشرق الأوسط وفيه، وإذا كانت السويس سنة ١٩٥٦ هى أول هذه الذرى العالية ـ فإنها لم تكن آخرها، فقد لحقتها حرب يونيو سنة ١٩٦٧، ثم حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣.**

كان رأيى ـ ولا يزال ـ أن هذه الحروب الثلاث هى فى حقيقة أمرها حرب واحدة مستمرة فى الصراع على الشرق الأوسط وفيه، ولم تكن الحروب الثلث غير البؤر الساخنة الملتهبة فى هذه الحرب المستمرة التى امتدت ثلاثين سنة، وربما أكثر لأن «السويس» كانت قمة صراع بدأ قبلها بسنوات طويلة، ثم استمر بعدها وتصاعد حتى قمة ١٩٦٧، ولم يتوقف تصاعده حتى جاءت سنة ١٩٧٣، وبعدها بسنوات بدا أن مرحلة بكاملها فى الشرق الأوسط قد وصلت إلى نهايتها، وأوشك الستار أن ينزل عليها ليرتفع على مرحلة جديدة لا أحد يعرف متى وأين وكيف بدايتها؟!

وكان رأيى ـ ولا يزال ـ أن «السويس» وحدها لا تقول القصة الكاملة للصراع على الشرق الأوسط وفيه. والصراع كله يستحق أن يعالج، وليس «السويس» وحدها وإلا فإن الموضوع مبتور وناقص!

وكان أول تعليق على ما طرحته من «بيرنيت» الذى بادر قائلا: إنه يوافق على تصورى الجديد للموضوع «فنحن هنا لم نعد نسمع شيئا إلا القليل عما يجرى فى الشرق الأوسط، بينما نسمع الكثير عما يفعله الأمريكيون به!»!

وحين انتهى الاجتماع كان اتفاقنا كاملا: البدء بـ «السويس» كحلقة أولى من حلقات الصراع على الشرق الأوسط وفيه، تليها سنة ١٩٦٧ حلقة ثانية، ثم تجىء سنة ١٩٧٣ حلقة ثالثة ـ فى حرب واحدة مستمرة على مصائر الشرق الأوسط ومقاديره!

□

وهكذا بدأت تناول قصة السويس ١٩٥٦، ذروة أولى من ذرى حرب طويلة ممتدة خاضتها أمة بأسرها وليس رجلا واحدا حتى إذا كان التاريخ قد وضع عليه مسئولية قيادتها!

وربما من هذا المنطق فإن المتفضل بقراءة هذا الكتاب سوف يلاحظ ما يلى:

□ أولا ـ أن هناك سياقا عاما يصل ما بين الحوادث والتطورات وما بين المطامح والمطامع، فـ «السويس» لا تقف فى مجرى التاريخ وحيدة فريدة، وإنما هى جزء من

كل، حلقة فى سلسلة، مشهد فى قصة، معركة فى حرب، وهى واحدة من بؤر الصراع الساخنة، لكنها بؤرة واحدة لها ما قبلها ولها ما بعدها فى حياة أمة تبحث عن نفسها، وعن دورها، وعن مستقبلها.

وقد تكون «السويس» لحظة مجيدة ومهيبة، ولكن اللحظات المجيدة والمهيبة لاتبرز فجأة من المجهول أو من الفراغ، وإنما قيمتها أنها رمز وتجسيد لما هو أكبر منها وأبقى.

□ **ثانيا** - أننى ركزت فى مجرى الكتاب كله على خط الصراع ولم أبتعد عنه إلا عندما كان ذلك ضروريا، والتزمت أن يكون ذلك فى أضيق الحدود.

وهكذا فإن الصراع على الشرق الأوسط وفيه هو القصة الأساسية لهذا الكتاب وليس قصة أى شخص أو أية قضية، فالكتاب ليس قصة «جمال عبد الناصر» ولا قصة ثورة ٢٣ يوليو، ولا حتى قصة تأميم شركة قناة السويس، وإنما الكتاب هو قصة الصراع فى تلك الحقبة، وحتى بلغ ذروته العالية الأولى فى حرب سنة ١٩٥٦.

□ **ثالثا** - أن حرب السويس ليست ثورة ٢٣ يوليو وحدها، وليست «جمال عبدالناصر» بنفسه وشخصه، ذلك أنه ليس هناك وزن لحدث خارج السياق التاريخى العام للأمة، كما أنه ليست هناك بطولة منفصلة عن جهد الأمة كلها وطاقتها، ذلك لأن الحوادث والأبطال لا يمكن أن يكونوا من صنع المصادفات أو ضربات الحظ تجىء فى الصميم أو تطيش فى الفضاء!

□ **رابعا** - أننى لا أتوسع كثيرا فى الجوانب العسكرية البحتة لذرى الصراع، وذلك لأن الجانب العسكرى فى الحروب هو أبسطها وأهونها، فالصراعات التاريخية الكبرى ليست فرقعات مدافع أو دبابات، وليست هدير أساطيل فى البحر أو الجو وإنما هى صدام قوى سياسية واجتماعية وفكرية بالدرجة الأولى، ولعل أستاذ الاستراتيجية الأعظم «كلاوزفيتز» لمس صلب الحقيقة بمقولته الشهيرة «إن الحرب هى السياسة بوسائل أخرى»!

□ خامسا - أننى ركزت كثيرا على أصول القضايا وجذورها عن اعتقاد بأننا إذا عرفنا القواعد فقد سهل التطبيق، وإذا توصلنا إلى القوانين فقد سهلت الأحكام، ولهذا فإننى خصصت الباب الأول من هذا الكتاب - وهو من ستة فصول - لحديث ماقبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

□ سادسا - أننى اخترت للكتاب فى طبعته العربية عنوانا آخر يختلف عن العنوان الذى صدرت به الطبعات الدولية، فهناك استقر رأينا على عنوان يقول: «السويس: قطع ذيل الأسد»، والمقصود هو الأسد البريطانى، والعنوان استعارة من عبارة قالها الزعيم السوفيتى «نيكيتا خروشوف» للسفير «محمد القونى» سفير مصر أيامها فى موسكو، أثناء حفل استقبال فى السفارة الرومانية هناك يوم ٨ أغسطس ١٩٥٦، وأما فى الطبعة العربية فقد اخترت أن يكون عنوان الكتاب مباشرا ومحددا.

□ سابعا - أننى على طول الكتاب كله تباعدت مرات عن الحديث وتركت الوثائق وحدها تحكى ما عندها، بل وأضفت إلى الكتاب ملحقا خاصا يضم كثيرا منها.

[٢]

وربما يتساءل كثيرون عن السبب أو الأسباب التى تدعو كاتبا صحفيا إلى إضافة ملحق ضخم وكامل بوثائق وشهادات - إلى كتاب ينشره؟

وأصحاب هذا التساؤل لهم الحق وعندهم دواعيه:

من ناحية: فإن الصحفى ليس فى مقدوره أن يكتب التاريخ، فتلك مهمة أكبر من طاقته، وأوسع من أى تحقيق يقوم به فى حدث بذاته، ولعلها أبعد من عمر أى إنسان فرد، ثم إنها أعقد من أن تحتويها دفتا كتاب واحد.

ومن ناحية أخرى: فإن الصحفى - حتى وإن كان أحد شهود الحدث الذى يكتب عنه - يستطيع أن يقدم شهادة تاريخية، ولكن الشهادة التاريخية ليست تاريخا وإنما هى - إذا صدقت - تصلح لأن تكون «مادة تاريخية» أى عنصرا من العناصر، وزاوية من زوايا النظر حين يكتب التاريخ.

ومن ناحية ثالثة: فإن الذين يعيشون الحوادث هم فى غالب الأحيان آخر من يصلح لتأريخها، ذلك لأن معايشتهم للحوادث تعطيهم على الرغم منهم دورا، والدور لايقوم إلا على موقف، والموقف بالطبيعة اقتناع، والاقتناع بالضرورة رأى، والرأى فى جوهره اختيار، والاختيار بدوره انحياز، والانحياز تناقض مع الحياد وهو المطلوب الأول فى الحكم التاريخى.

وحتى إذا قيل، وفى القول كثير من الصحة، إنه ليس فى العلم حياد، ولا فى الفكر حياد (التكنولوجيا وحدها يمكن أن تكون محايدة)، فإن هناك فارقا بين الانحياز الفردى وبين الانحياز الاجتماعى، لأن الانحياز الفردى يقوم على الذات بينما الانحياز الاجتماعى يقوم على رؤية.

□

وأعترف أن كل المحاذير التى أشرت إليها تنطبق علىَّ وعلى عملى: فأنا صحفى، ثم إننى كنت شاهدا على كل حروب الثلاثين سنة، ثم إنه كان لى فى وقائعها أو مواقعها دور اقتناع واختيار ورأى، وإذن فلماذا لم أكتب لمجرد تقديم شهادتى عما رأيت وسمعت لتكون «مادة تاريخية» ثم أقنع بذلك وأريح نفسى وكل الناس؟!

وهكذا بالضبط ما فعلته فى الطبعة الإنجليزية - وهى الطبعة الأصلية من هذا الكتاب - لكنى فى الطبعة العربية اخترت منهجا آخر.

فى الطبعة الإنجليزية قدمت شهادتى، ثم اكتفيت بإشاراتى فى الهوامش إلى الوثائق التى وجدتها والشهادات التى عثرت عليها، ولم أحاول ما هو أكثر.

أما فى الطبعة العربية فقد اخترت كما أسلفت منهجا آخر.

ترجمت الكتاب الأصلى بنفسى إلى اللغة العربية، لأنى توسعت فى التفاصيل فهناك كثير فيها يهتم له القارئ العربى، بدرجة أكبر بالقطع من القارئ الإنجليزى أو الأمريكى أو الفرنسى أو الألمانى أو اليابانى... إلى آخره.

ثم إننى جمعت كثيرا من الوثائق الأصلية والشهادات الحية بنصوصها فى ملحق أضاف إلى الكتاب الأصلى عبء كتاب آخر، وربما أكثر.

□

لماذا:

والرد على ذلك صعب والشرح فيه يطول، لكنى أجمل دوافعى إليه فيما يلى:

١ ـ لقد اندفعت إلى الشواطئ العربية موجة عاتية مدمرة جرفت فى وجهها حقولا خضراء ومدنا زاهرة وحياة إنسانية عامرة، وحاولت وما زالت تحاول أن تمحو من الموجود ومن الذاكرة أن العرب كان لهم فى القريب وليس فى البعيد من ماضيهم شىء أكثر مما يرونه حولهم من حطام وركام وقش يتلاعب الموج به وكذلك الريح!

٢ ـ إنه فى عنفوان هذه الموجة الهمجية اختلطت ببعضها أشياء كثيرة: الخاص مع العام، والذاتى مع الموضوعى، والحقيقة مع الخيال، وأصول القضايا مع فروعها، بل امتد الخلط إلى حد ضاعت منه الحدود بين الصديق والعدو، وبين النصر والهزيمة، ومما يثير العجب فعلا أن هناك فى مصر من وصفوا «السويس» بأنها كانت هزيمة، فى الوقت الذى يعتبر فيه شركاء العدوان الكبار على مصر ـ بريطانيا وفرنسا ـ أنهم هزموا فى «السويس» وأن موقعتها الكبرى كانت نهاية الإمبراطورية بالنسبة لهما.

ولقد كانت النقطة التى اختل فيها التوازن هى الخشية من نسبة السويس إلى «جمال عبد الناصر»، وبالتالى يكون انتصارها إذا حسب له ريشة على رأسه. والحقيقة أن حرب السويس بمعناها الأصيل أكبر من جهد فرد، ثم إنها أوسع من طاقة حكم أو حاكم!

٣ ـ إن كثيرين ممن تكلموا جنحوا. فهناك من أرادوا الإساءة لمصالح أو أغراض. ثم إن هناك من أرادوا الإحسان بصدق نية. والمشكلة أن القضايا الكبرى أعقد من سوء المقاصد أو حسن النوايا!

وفى كل الأحوال فإن القارئ العربى ـ خصوصا جيل الشباب ـ أصيب بنوع من الحيرة الشديدة والبلبلة المؤدية للإحباط.

وفى المحصلة فإن الكل فقد مصداقيته.

وربما كان من هنا أننى شئت أن تتحدث الوثائق والشهادات، وظننت أن حديثها سوف تكون له من قوة التصديق ما يفوق قوة أى حديث آخر. فهنا القول الفصل وغيره ـ فى أحسن الأحوال ـ آراء لأصحابه.

□□□

ولقد وجدت أمامى كما هائلا من الوثائق والشهادات، وكنت أتصور أن ذلك يجعل مهمتى فى عرض الموضوع سهلة، ولكننى اكتشفت بالتجربة أن العكس صحيح لأن المحدود يزكى نفسه بل يفرضها بحكم أنه لا بديل، وأما الفيض فإن قضية الاختيار فيه عويصة معقدة.

وأعترف أننى مدين بالكثير مما لدىَّ من وثائق التاريخ المصرى المعاصر إلى «جمال عبد الناصر» فقد أذن لى دائما أن أطلع على أوراقه، وسمح لى فى كثير من الظروف بصور منها. كان قد لاحظ مبكرا غرامى بالحرص على كل ورقة تضعها الظروف أمامى، وسألنى مرة وكنا أيام معركة السويس: «ماذا ستفعل بكل هذه الأوراق التى تحرص على جمعها؟» وقلت له «ربما فكرنا ذات يوم بعد أن ينتهى ذلك كله أن نجلس معا لكتابة قصة هذا العصر كما عايشناه..» وكان رده «سوف تفعل ذلك وحدك إذا أردت.. أما أنا فلا أظننى سأكون هناك عندما ينتهى ذلك كله». واستغربت قوله، خصوصا حين أضاف بهدوء غريب «من يعيش مثل حياتى يحرق الشمعة من الناحيتين»!

وكأنه كان يقرأ الغيب!

□□□

ولقد آثرت منهجا خاصا فى اختيار ما أورده ـ هنا ـ من وثائق، فمنذ البداية

واجهتنى مشكلة المعيار الذى أعتمده فى الاختيار، والرد السهل على هذه المشكلة أن أقول: إن المعيار الذى فرض نفسه لاختيار هذه الوثيقة أو تلك من بين الكم الهائل المتاح هو معيار الأهمية! ولكن «الأهمية» ذاتها مسالة نسبية تختلف فيها الآراء وتتباين المواقف، بل وقد تتعارض زوايا الرؤية والنظر.

ولقد اخترت منهجا خاصا أقيس به أهمية الوثائق عندما أختار بينها، فقد آثرت أن يكون معيارى لأهمية اى وثيقة هو قدرتها على تصوير أو تجسيد أو استعادة روح اللحظة والحدث والعصر بكل ما فى ذلك جميعا من حس إنسانى ونبض. وكان رأيى أن كل كلمة - حتى فى وثيقة تاريخية - خرساء أو صماء إلا إذا كان فيها نبض حس إنسانى.

كان رأيى أن الكلمات الخرساء الصماء مكانها رفوق الأرشيف، سواء كانت مودعة فى حوافظ أوراق مكتوبة أو حوافظ أشرطة إليكترونية. ويصدق هذا القول حتى فى نصوص المعاهدات والاتفاقيات ذاتها، فإن محاضر الجلسات والمناقشات التى أدت إلى النصوص هى أوضح وأفصح من هذه النصوص ذاتها لأنها هى التى تكشف أكثر من غيرها روح اللحظة والحدث والعصر، وهى الأقدر على التصوير أو التجسيد أو الاستعادة الحية.

□

والحقيقة أن العقدة الكبرى التى واجهتها كانت هى ترتيب الوثائق، ثم قر قرارى فى النهاية على ترتيب السياق الزمنى للحوادث، فبذلك تستطيع الوثائق أن تروى قصتها كاملة بالتوازى مع تسلسل الوقائع فى الكتاب نفسه.

ولقد ظللت لبعض الوقت تحت ظن أن تجميع الوثائق من المصدر الواحد فى قسم واحد يعطى نوعا من التركيز والتأكيد لدور هذا المصَدر وحركته. وبصرف النظر عن أى مزايا فى هذا المنهج، فلقد وجدته فى النهاية معرضا لاحتمالات الارتباك والتشويش.

وعلى سبيل المثال، فلو أنى جمعت كل الرسائل المتبادلة بين «جمال عبد الناصر»

وملوك السعودية فى قسم واحد مستقل لكان هناك احتمال ارتباك وتشويش، فهذه الرسائل - فيما يتعلق بحرب السويس - تمتد على فترة ثلاث سنوات تتمدد وقائعها فى عديد من فصول الكتاب وتتداخل موضوعاتها مع حوادث سابقة ولاحقة.

وهكذا اخترت أن آخذ الوثائق مستقلة عن بعضها موصولة بتسلسل الحوادث نفسها بدلا من تجميعها معا نسبة إلى مصدرها وحده.

واعتقدت أن هذا المنهج يجعل الجزء الوثائقى من هذا العمل كتابا مستقلا يمكن أن يقرأ بذاته، ويقدر على رواية قصته بصرف النظر عن النص الأصلى للكتاب.

□

بقى أن أقول: إننى فى هذا الكتاب استعملت - إلى جانب الوثائق المصرية الأصلية - مجموعة من وثائق بريطانية وأمريكية وفرنسية وإسرائيلية وجدتها تستكمل صورة «حرب السويس»، وهى الجزء الأول من قصة «حرب الثلاثين سنة» وتسد ثغرات لا تتضمنها الوثائق المصرية لأن القرار فيها لم يكن مصريا. وربما يلاحظ القارئ أن الجزء الأول من وثائق هذا الملحق هى وثائق بريطانية وأمريكية بالتحديد فيما يتصل بالأحداث التى وقعت قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. ولم يكن هناك مفر من ذلك، فمن سوء الحظ أن العصر السابق لثورة ٢٣ يوليو لم يترك وثائق سياسية يعتد بها ولا شهادات كاملة، ووراء ذلك سببان:

□ **الأول: إن سياسة مصر قبل الثورة كانت مقصورة على مسألة واحدة، وهى العلاقة مع بريطانيا، وقد كانت علاقة بالعالم كله ثنائية مع قوة واحدة من قواه.** وفى الغالب فإن القصر الملكى كان هو الذى يدير ويوجه. ولست أعرف المصير الذى آلت إليه محفوظات القصر الملكى، ولعل غيرى يعرف أكثر، وفى كل الأحوال فقد كانت القضايا كلها فيه محصورة ومختزلة فى علاقة ثنائية مع طرف واحد، ثم إنه فيما يتعلق بتلك الفترة **فإن الوثائق البريطانية أكثر دقة وأكثر وفرة. ومع التسليم بتحيزها لوجهة النظر البريطانية، فأى قارئ مدقق لها يستطيع أن يستخلص منها بيسر كل ما يريد من وجهة النظر المصرية.**

□ **والثانى**: إن ساسة مصر باستثناءات قليلة لم يتركوا شهاداتهم عما عاشوه من وقائع التاريخ. وفيما خلا الدكتور «محمد حسين هيكل» (باشا) و«محمد على علوبة» (باشا) و«محمد أحمد فرغلى» (باشا)، فإن أحدا من ساسة عصر ما قبل الثورة لم يدل بشهادة للتاريخ يعتد بها. وصحيح أن **هناك مذكرات «سعد زغلول» (باشا) - وهى وثيقة إنسانية مثيرة - إلا أن هذه المذكرات لم تنشر حتى الآن، والواقع أننى - وقد أتيحت لى فرصة قراءتها بالكامل - أجد أن نشرها قد يسبب حرجا لأطراف كثيرة أولها: «سعد زغلول» (باشا) نفسه، وقد ينال من دوره الضخم فى الثورة المصرية سنة ١٩١٩.**

ومما يؤسف له أن رجلا كبيرا فى حجم «مصطفى النحاس» (باشا) لم يترك ورقة واحدة عن تجربته السياسية الطويلة.

ولقد حاول كثيرون أن يكتبوا، ولكنهم كتبوا كثيرا ولم يقولوا شيئا. ثم إن رجلا - مثل «حسن يوسف» (باشا) آخر رئيس للديوان الملكى - كتب، لكن الرجل بدبلوماسيته الرقيقة آثر أن يطوف بالتخوم البعيدة، حتى لا يتعثر فى الصخور!

وهكذا فإن سد الفجوات بوثائق وشهادات غير مصرية أصبح أمرا لا مفر منه إذا أردنا استكمال القصة التى يتعرض لها هذا الكتاب.

□

وفى النهاية فإننى أعرف مقدما أننى أرهق قارئ هذا الكتاب بكل هذا الفيض من الوثائق والشهادات، لكن عذرى أمامه **أننى أريد أن تكون القصة واضحة، وأن تنتفى عنها كل موجبات اللبس وسوء الفهم، وخصوصا أن هناك كثيرين يرضيهم أن نصدق ما يقولونه عنا اليوم، ويسيئهم كثيرا أن نستجلى ما جرى لنا، وأن ندقق فيه، وأن نزيح عنه غبار النسيان الطبيعى أو النسيان المطلوب، وأن نكتشف من جديد أن صورة مصر الحقيقية كانت تختلف بكثير عما يحاولون تصويره أمامها اليوم فى ظروف استبيح فيها كل شىء فى العالم العربى.. حتى التاريخ!**

□